



إشكالات الحرية وسياقات ممارستها عند مالک بن نبی قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة

د. رقية بوسنان

جامعة الأمير عبد القادر (قسنطينة)

Email : b_rokeia@yahoo.fr

الملخص

يهدف البحث إلى تحليل إشكالات مفهوم الحرية وممارستها في فكر مالک بن نبی من خلال كتبه المدرجة في سلسلة مشكلات الحضارة، وهي موسوعة فكرية تعبر عن اتجاهات بن نبی لمعالجة هذه المشكلات وفقا لرؤى متعددة تجمع بين أصالة الأفكار ذات المرجعية الإسلامية والمرجعية الغربية، ويورد بن نبی عدة سياقات لمناقشتها ونقدها، وهي سياق الاستعمار، وسياق الصراع الفكري، وسياق الأفكار الفاعلية، وسياق المرأة، وسياق الديمقراطية.

يؤكد بن نبی بأن الحرية بمختلف أنواعها، وخاصة الفكرية والسياسية حتمية وضرورة اجتماعية لكل المجتمعات التي تسعى إلى تغيير أوضاعها، وأن جهود التغيير تشمل كل أنسجة المجتمع، ويطرح عدة تصورات للخروج من مأزق تقييد الحريات إلى فضاء إطلاقها كما كان الأمر على عهد دولة الإسلام الأولى، ويركز على الفضاء الفكري والدعوة إلى تحريره من الشلل الذي أصابه في مختلف المجالات؛

بتفعيل الأفكار الخلاقية والمبدعة، وتجاوز عقلية التقليد المخالفة للمنظومة الاجتماعية والدينية، ويدعو بن نبي إلى امتثال الدين الإسلامي نظاماً شاملاً لتحريك كل المجالات وتفعيلها.

الكلمات المفتاحية: الإشكالات، الحرية، السياق، الممارسة.

Problematic of liberty and the contexts according to Malek Bennabi of its practice Review of “Problems of Civilization” Book series

ABSTRACT

The research aims at analyzing problematics of the concept “Liberty” and its practice in the thought of Malek Bennabi, through his books included in his book series “Problems of Civilization” which is an intellectual encyclopedia expressing Bennabi’s trends to treat these problems according to many views combining the originality of ideas of islamic reference and western reference.

Bennabi mentions several contexts to be discussed and criticised encompassing the context of colonialism, the context of intellectual conflict, the context of effective ideas, the context of woman and the context of democracy.

Malek bennabi assures that liberty of all kinds, especially the intellectual and political ones, are imperative and a social need for societies that strive to change their situation. He also confirms that the efforts of change include all the social fabric and proposes many perceptions to get out of the restriction of liberty into liberty, as was the case in the era of the first Islamic State.

Bennabi focuses on the intellectual space and calls for emancipating it from paralysis in various areas by revitalizing creative ideas and over coming the mentality of imitation which goes against the social and religious system. He also calls for adopting Islam as a comprehensive system to push and activate all domains.

Keywords: Problematic. Liberty. Context. Practice.

مقدمة

يشير مفهوم الحرية إشكالات عدة من حيث التأطير والممارسة، هذا المفهوم لفت أفلام العديد من الكتاب منذ القدم، لتوصيفه وتتبع ممارساته في جل المجتمعات، والتأكيد على أهميته لدى الفرد للانطلاق في عملية التحضير والتطوير، وإن كان هذا الطرح تدافعه أفكار غريبة مستهجنة نظير الممارسات التي رافقته، والمختلفة تماما عن التنظير في الفلسفات المختلفة، هذا المفهوم يراه الآخر ضرورة لاستبعاد الأنا ويراه الأنا ضرورة للفكاك من الآخر - ماضيا وحاضرا ومستقبلا - الذي حاول ويحاول طمس شخصيته وهدم مقومات حضارته، كما يحدث بين الأنا والأنا تعارض أيضا في المفهوم والممارسة، الشيء الذي يحيلنا إلى المزيد من البحث حول هذا المفهوم وحل الإشكالات المرتبطة به.

ويعتبر فكر مالك بن نبي مجالا خصبا لاستنبات الأفكار الهامة وتحيينها عبر الزمان والمكان، فمنهج تأليفه له بعد استشرافي في علاج مختلف الأفكار والقضايا المعاصرة التي تصدر المجتمعات عامة والجزائر خاصة، والحفر في فكر مالك بن نبي يعني استخراج المواد الأولية الصالحة لأي بناء أو نظرية في مختلف الجوانب، سياسية واقتصادية وثقافية وأخلاقية.

لقد حوت مؤلفات بن نبي معاني الحرية ومبانيها، والتي تعتبر موسوعة فكرية ضخمة وجب قراءتها بتمعن، وتأتي لاستخراج الكنوز المعرفية التي تتعلق بهذا المفهوم وممارساته وتتبع مآلاته في واقعنا المعاصر، واستشراف مستقبله ضمن المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية المقرونة بجميع المجالات الدينية والسياسية

والاقتصادية والثقافية، ويمكن معالجة سؤال الحرية عند مالك بن نبى من خلال المحاور الآتية:

- ما هو مفهوم الحرية عند مالك بن نبى؟
- ما هي السياقات التي أثارها مالك بن نبى لمناقشة إشكالات الحرية؟
- ما هي أهم تصورات بن نبى لمعالجة إشكالات الحرية في السياقات المختلفة؟

1- مفهوم الحرية عند مالك بن نبى

ينحون بن نبى في كتاباته عن الحرية منحى الأدبيات والفلسفة الغربية التي كتبت حولها، ويؤكد على أنها حالة تقابل بين ثنائية العبد والسيد أو الرقيق والحر، كما ذهب إلى ذلك أفلاطون بتركيزه على أهمية العدل أو العدالة في إقامة نظام الحكم، في معرض إشارته إلى الحرية والتي هي صنو للديمقراطية المعتدلة.

كما استفاد من رؤية أرسطو حولها، والذي أشار إليها في معرض كتابته عن أنواع الديمقراطية، التي تقوم على المساواة، والحرية، وهما قاعدتان أساسيتان لها، حيث قابل بين المساواة في الحقوق السياسية بشكل تام، وخلو الديمقراطية من كل شائبة، وأكد على أن الحرية هي الغرض الثابت لكل ديمقراطية، وقاعدتها تبادل الأمر والطاعة.

ولم يتناول بن نبى الحرية، كمحور من محاور مؤلفاته، ولكنه عالجها في إطار سياقات مختلفة تدل عليها، وقد أورد عدة تصريحات لها، ومنها: الحر، والتحرر، ومرادفات لها وهي: الإرادة، والديمقراطية، وأورد مفاهيم مناقضة لها، كالاستبداد، والاستعمار، والعبودية.

وسيتيم تعريف المترادفات والمعاني كما هي واردة في مؤلفاته:

- الحر: هو الحد الإيجابي بين نافيتين تنفي كل واحدة منهما، مفهومي العبودية والاستعباد.

- الشعور الديمقراطي: هو الحد الوسط بين طرفين، يعتبر كل واحد منهما نقيضا بالنسبة للآخر، النقيض المعبر عن نفسية العبد المسكين وشعوره من ناحية، والنقيض الذي يعبر عن نفسية المستعبد المستبد وشعوره من ناحية أخرى.

- الديمقراطية: يعرفها بن نبي في أبسط معانيها بأنها: سلطة الشعب كما هو وارد في القواميس الفرنسية، وتعني عنده سلطة الإنسان، ويناقش هذا المصطلح من ثلاثة وجوه:

- الديمقراطية بوصفها شعورا نحو الأنا.

- الديمقراطية بوصفها شعورا نحو الآخرين.

- الديمقراطية بوصفها مجموعة من الشروط الاجتماعية السياسية الضرورية لتكوين هذا الشعور في الفرد وتنمية.

2- سياقات مناقشة إشكاليات الحرية عند مالك بن نبي

يناقش مالك بن نبي دلالات الحرية في سياقات متعددة، اتسمت أحيانا بالتعميم، وأحيانا أخرى بالتخصيص والتحليل؛ وذلك من خلال مجموع مؤلفاته التي اطلعت عليها وهي ما يقارب العشرين مؤلفا، وقد ركزت على سياقات بعينها تكررت بشكل أو بآخر في كتاباته، وسيتيم عرض القراءة في هذه السياقات ومناقشتها مبدئيا في فكره، ثم التثنية على مناقشتها في الأدبيات المعاصرة وفي ظل

التغيرات الراهنة التي يمر بها العالم بأسره ويمكن عرض هذه السياقات كالآتي:

2-1 سياق الاستعمار

يتناول بن نبي في هذا السياق الكثير من الأفكار، ويقدم هذا الوافد القديم والمتجدد على أنه مشكلة تاريخية ومعاصرة عملت على استلاب حريات الشعوب، ومقدراتها مستخدمة كل الأساليب المشروعة ظاهريا وغير المشروعة، فيشير إلى حريات عدة، منها: حرية التعليم، وحرية البناء، وحرية الفكر، وحرية الإصلاح، ويعيب بن نبي على الشعوب المستعمرة قابليتها لهذه الظاهرة؛ بالركون إليها، عن طريق التبرير أحيانا لها، أو المشاركة في استفحالها لعوامل نفسية شلت الإرادة الفردية والجماعية، وفي المقابل يصف بن نبي الثورة عليها معنويا وماديا في قوالب تحررية، أو ما يعبر عنه بحركات الإصلاح والتحرر على اختلاف مناهجها وقدرتها على المجابهة، ويتضمن هذا السياق المحاور الفرعية التي اجتهدت في تحديد عناوين لها؛ لتتماشى مع الإطار العام للبحث وهي:

• الاستعمار... ومشكلة الحق وحرية التعليم

يركز الاستعمار قديما وحديثا على تقويض دعائم التعليم في المجتمعات المستعمرة، وهو يعلم بأن قيمة حرية هذه الشعوب هي من قيمة تعليمها تعليما أصيلا ينطلق من منظومة القيم التي تحكمها، ولا أجد صعوبة في التأكيد على الأجندة الاستعمارية في محاولة لنشر الجهل واستبدال الثقافة الأصيلة واللغة الأصيلة، بثقافته ولغته، فصورة الاستعمار الفرنسي ومشاريعه التدميرية حاضرة في

مخيلة الشعب الجزائري.

ويذهب مالك بن نبي بتصوير بسيط إلى الحكم على أن الاستعمار الفرنسي لا يترك مجالا للفرد منذ طفولته للتفكير في المدرسة، وحتى إن وجدت فهناك من العراقيين ما يحول دون التمدن الذي يفضي إلى مهنة شريفة، حتى إذا اشتد عوده لم يحصل على وظيفة إلا بشق الأنفس، تحاصره، "شبكة دقيقة مسمومة من الأحقاد، تسلبه كل وسيلة لإقامة حياته، وتنشر من حوله الأفكار المحطمة لقيمتها والمعركة لمصالحه".

- الاستعمار... النظرة ازدواجية في تحرير الشعوب

يتخذ الاستعمار قديما وحديثا معايير ازدواجية في التعامل مع الشعوب، فهو لم يتحرر من النظرة العنصرية إلى ما دون سواه، فشعوبه كما يصورها لها جينات إنسانية تتوافق مع غيرها في مظاهر الحضرة، والتطور، بالرغم من المشكلات التي تعاني منها، وهو هذه النظرة يصور لتفوق أنه على الآخر الذي يحتاج إلى التحديث من وجهة نظر أخرى.

يقول بن نبي: "وهكذا خصص الغرب نظرتة بالنسبة إلى المبادئ - منها الحرية - كما خصصها بالنسبة إلى الرجال، فإذا بنظرتة إلى ما هو أوروبي تختلف عما ليس كذلك، فهو يرى بصورة طبيعية مشكلات أوروبا ورجالها، أما حين ينظر إلى مشكلات الشعوب الأخرى، أو حين ينظر إلى هذه الشعوب نفسها فإنه يضع نظارة على عينيه، وإذا بهذه النظرة غير المباشرة لا تتصل بقيم الأخلاق وبقيم السياسة".

ويؤكد بن نبي أن التوجه العام في السياسات الغربية، يسير في خط واحد لمصادرة

حرية الشعوب التي تعتبر بأن الحرية عقيدة لها، "إن الشعوب المستعمرة تؤمن بالحرية، ولكن ارتباطها بما يسمى العالم الحر، لا تدري عندما يتكلم قاداته عنها، هل هو من باب السخرية اللاذعة، مثل ذلك التصريح لشرشل الذي قال أنه يحاول تلافي التوتر العالمي وتمهيد السبل إلى السلم والحرية، وهو يعلم أن مخالفه إنما كان لها أثر كبير في سلب الحريات الأساسية للشعوب المستعمرة".

ويصور بن نبي ممارسات الاستعمار في المجتمعات التي احتلها، وهي الصورة القائمة في كل جوانبها، والتي تصاحبها مظاهر القتل والتدمير، "لقد سلب الاستعمار الماو-ماو أراضيهم الخصبة، ونكل بهم وأبيدوا، وقد أمطر أهالي الملايو بقنابل على قراهم، ومآسي شعوب أخرى تعكس وجه المستعمر".

ويرى بن نبي أن لهذا الاستبداد الشامل بشؤون المستعمرات مجامع علمية تتبناه، وتقوم على دراسته وتوجيهه، كمدرسة العلوم الاستعمارية بباريس، وله أيضا خطته العامة وهي الميثاق الاستعماري الذي يتعدل تبعا لظروف الموقف وسير الأحداث، وهناك مؤتمرات دورية تخفي أغراضها بأسائها كمؤتمر فولتا، أو مؤتمر أصدقاء لسترا دامو، وهي تتناول دائما بالبحث السياسة الاستعمارية وخطتها الفنية في الاستعمار الأخلاقي والمادي.

ولقد تمثل هذا التزاوج بين الاستعمار ومشاريعه الفكرية في التعامل مع الشعوب في إطار الثنائية -الغرب والغرب- في بعض الأحداث المعاصرة في الحياة الدولية، حيث اعتمدت سياسة أمريكا في نهاية الحرب الأخيرة مشروع إرسال مارشال للشعوب الغربية كي يعينها على النهوض بعد التحرر، واعتمدت لهم أخلاق المن

والسلوى في مشروع U.N.R.W.A لإسعافهم مؤقتاً، بما يضمن لهم من الحرية والعمل والخبز، أو الوسائل الضرورية لكسبها، وفي المقابل تبتدع للشعوب المتخلفة -العربية- مشروعاً آخر أطلقت عليه اسم النقطة الرابعة، أي أنها لم تعتمد لهم الخبز ولا العمل ولا الحرية.

ولا يكفي الاستعمار بالمناورة والمراوغة والنظرة العنصرية والمزدوجة، بل يوظف كل الوسائل التي تحتل صورة الحضارة الإسلامية في تخلفها، فيلجأ إلى محو كل آثار فضلها على الغرب وتزويرها، يقول بن نبي: "فإن الواقع كما لاحظته غوستاف لوبون -في معرض الحديث عن أوروبا هو أن جميع الوسائل اتخذت لمحو الحضارة الإسلامية من سجل التاريخ؛ من أجل ذلك زور الغربيون التاريخ، حتى ظهر في عيون من أخذ عنهم أن التاريخ البشري ليس تلك السلسلة التي تتصل فيها جهود الأجيال، وإنما في نظرهم، تلك المسافة المختلة تبتدئ من الأكربول في أثينا وتنتهي عند قصر شاية بباريس".

ويضيف بن نبي أن الاستعمار يفضل الغموض في توضيح علاقته بالأرض المستعمرة فيما يسميها بالقاصر - وفي إبداء موقفه من تحرير الشعوب، تحت ضغط القوى الدولية، "فإنه يفضل أن يتحدث عن مراحل التحرر اللازمة دون أن يحدد طبيعة هذه المراحل ولا مدتها، هذا بالنسبة للمستوى الدولي، أما بالنسبة إلى علاقة الحامي بالقاصر مباشرة فإن الأشياء تكون على جانب أكثر من الوضوح، فكل مطالبة من قبل القاصر للمستعمر كي يعترف برشده يعتبر خروجاً عن الطاعة، وصاحبه يرتكب في نظر الاستعمار أو في أقواله جريمة التعصب والعنصرية والحد

على الأجنبي، أي أنه يهتم بارتكاب تلك الجرائم التي تضع صاحبها تحت رحمة قانون قمع يطبق بصورة رسمية في محاكمات مزعومة، أو عن طريق التنفيذ الخاص.

- الاستعمار ... أسر حرية التفكير لدى النخبة

تركز الكثير من الأدبيات على مناقشة حرية التفكير، وتعتبر أن هذه الحرية هي أساس فعل التحرر، تطالب به الطبقة المثقفة التي تعتبر قائد الرأي العام في مختلف المجتمعات والتي تتعرض للتضييق ومصادرة أفكارها، فتركن لذلك وتتحول من حامي للحمى إلى حامل لوعاء مستهجن، تبرر حضوره وترى فيه المخرج من المحن التي تعاني منها.

ويقف مالك بن نبي عند المثقف الجزائري الذي أصبح تفكيره موجهًا بما يطرحه الاستعمار من كلمات لها دلالة اجتماعية معنوية، فيراه يتلقفها ويصبغها على نفسه، "نسمع كلمة الأهلي تتردد في خطب الطبقة المثقفة، ونقرأها في مقالاتها"، ويشير إلى تمكن الاستعمار من محاصرة هذه الطبقة التي تبحث عن مخرج لأزمات مفتعلة كالبطالة، والامية، والانحطاط الأخلاقي، والفرقة الحزبية، والذوق القبيح...، ولا تجد بالنهاية المخرج سوى الاستجابة له مما يحط من الكرامة الفردية "القابلية للاستعمار".

ويستخدم الاستعمار بحسب بن نبي جهازا كاملا من المراقب التي تستكشف الأفكار وتتبع تحركاتها باهتمام بالغ، وهو اهتمام عملي محض، فهو لا يقنع بمجرد الاستعلام عن حركتها، بل له فلسفة خاصة تتمثل في التخلص من الأفكار التي تضايقه ثم العمل على الانحراف بها عن مراميها بتوجيهها خارج المدار الذي أراد

أصحابها استبقاءها فيه.

- الاستعمار... مصادرة حرية التسيير

يدرك الاستعمار أن العامل السياسي المتمثل بالسلطة له دور أساسي في المحافظة على كيانه ومشروعه، فيلجأ إلى اختيار هذا الجهاز بعناية فائقة، ويستخدم كل الأساليب المباشرة وغير المباشرة، بافتعال الأزمات وتسييرها ومراقبة مدى تجاوب الجهاز الرسمي معها ودعها لإيهام المجتمع بشرعنة التواجد الاستعماري الذي يخيل له بأنه المنقذ والمخلص، وحال إشاعة العنف والتطرف في السياسات الاستعمارية الحديثة ما يؤكد على ذلك، إذ تخلق من الحركات المتطرفة تحت مسمى الدين لإشاعة الفوضى، ثم تتدخل لمحاربتها والقضاء عليها مقابل أثمان مادية قد لا تتحملها الدول المستهدفة.

يؤكد بن نبي على ذلك ويشير إلى بعض الأساليب التي يستخدمها الاستعمار للإبقاء على الوضع المزري في البلاد المستعمرة، بإشاعة الفوضى الدائمة والتي تغذيها وسائل مدروسة من الفساد وتحافظ عليها حكومات من الدمى المتحركة. ويكشف بصورة أدق عمل الاستعمار الذي يتلاحق كل يوم، تلاحقاً لا يعود معه في المقدور إدراك شيئاً منه، باعتبار الأوضاع العقلية للشعوب التي تحول بينها وبين أن تتبع لاعب الاستعمار حين لا يكون مرئياً أو واضحاً، وحين تكون الوسائل المستخدمة قدر حبات الرمل، ذلك أن حبة رمل واحدة كافية أحيانا لإيقاف محرك إذا ما تسربت إلى أحد أجهزته.

ويخلص بن نبي إلى نتيجة عامة، فيستشهد بالأوضاع المزرية التي سجلت إبان الحرب العالمية الأولى في محاولات لوضع أسس عالم جديد، تسوده مظاهر الرحمة تحت شعار (الحق والحضارة) لتحرك الشعوب من أجل إنقاذ الديمقراطية، وشاعت الكلمات (حرية، سلام، عدل)، لكن ذلك لم يغير شيئا من الأوضاع.

2-2 سياق الصراع الفكري

يركز الاستعمار على الحقول الفكرية؛ لأنها أساس بناء الفرد معنويا وماديا، وهي خط الدفاع الأول عن قيمه وأعرافه وتقاليده، وبذ كل دخیل، ويناقد بن نبي في هذا السياق تركيز المستعمر على الجانب الفكري، الذي يتجلى في صورة شخصيات مرموقة دينية وسياسية واجتماعية لها حضورها في المجتمع الجزائري، ومحاولة مصادرة حرية تفكيرها، وخلق ما يجابهها بمن ينتمي إلى المجتمع نفسه.

- الصراع الفكري... الأقلام المأجورة لمجابهة مشاريع التحرر

يناقد مالک بن نبي ما يحدث على المستوى الداخلي من تمكن الاستعمار لصناعة مؤدلجين ينتقدونه ظاهرا وهم في الباطن منفذون لسياساته الظلامية، وإيديولوجياته المخالفة لقيم المجتمع الجزائري، ويكشف ذلك بالكتابة عن ما يسميه بالفكر التقدمي ويسوق لنا مثالا عن اختطاف الشيخ العربي التبسي والتي عنونت له الصحافة الجزائرية المأجورة بـ "خطف خائن كبير في الجزائر"، لتحاول تشويه سمعة وحضور الشيخ داخل المجتمع.

ويشرح بن نبي أن الاستعمار لازال في حاجة إلى أقلام يكتب بها، وإلى أبواق

يتكلم بها، حتى لا يعرف خطه وصوته عندما يخادع الجماهير، وهذا يعني أن الأرضة -نوع من الحشرات- المتعلمة لازالت منتشرة في البلاد الإسلامية على وجه العموم، والجزائر على وجه الخصوص، ويرى بن نبي أن هذا النوع من الحشرات لا ينقطع مادام المثقف الجزائري المأجور يفتقد إلى المبدأ الأخلاقي المهيمن على سلوكه. ويرى بن نبي أن الصراع الفكري يتبدى على حقيقته، حيث يجتهد الاستعمار في امتصاص القوى الواعية في البلاد المستعمرة بأي طريقة ممكنة، ومن البديهي أنه سيحاول أولاً تعبئتها لحساب فكرة متجسدة تجسدا تصبح معه أقرب إليه منالا.

ويكشف بن نبي عن طريقة مجابهة الاستعمار للمكافح أو المصلح أو المفكك لهويته التدميرية المكبلة للحريات من جانين: الأول أن ينفر من أفكاره الرأي العام في بلاده، بجميع الوسائل، والثاني: أن ينفر صاحب المشروع نفسه من القضية التي يكافح من أجلها فيشعره بعبثية كفاحه.

ويبين مالك بن نبي القاعدة العامة في الصراع الفكري، حيث تتجه مجاهر الأخصائيين في الغرب لتخضع كل بادرة ذات مغزى لاحت في العالم الإسلامي وتجري عليها كل طرق التحليل، وكل عمليات التشريح وتمر بكل أصناف التقطير، حتى تضعف وتصبح غير صالحة اجتماعيا، بينما تشجع أفكار التمجيد وامتداد الماضي الذي يكشف عن إمكان استغلال هذه الحساسية للفتها عن حاضرها.

- سياق القابلية للاستعمار... تقييد فعالية الفكرة

يعرف بن نبي الفعالية بأنها إدراك أسباب الأحداث وقياسها بالمقياس الصحيح، التي تعتبر منبهات للإرادة وموجهة للنشاط، والقدرة على اكتشاف أسرارها

للسيطرة عليها وتوجيهها، أو هي الانطلاق من الإرادة في تغيير الأشياء تغييرا يحدد بالضبط وظيفتنا الاجتماعية، كما رسمها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: 110/3). ويطرح مالك بن نبي في هذا السياق أزمة العقل والسلوك في مجابهة الاستعمار وأفكاره المخططة والمنهجية لاستغلال الشعوب والسيطرة على مقدراتها، ويرى أن الفرد يصاب أمامها بالخنوع والتسليم مما يوحى بعدم القدرة على التفكير الإيجابي والخلاق للمواجهة، أو ما يسميها بافتقار الأفكار الفعالة، "إنه خلال الصراع مع الاستعمار، لم نعبر عن الأشياء بلغة الفعالية، ولكن بلغة العاطفة التي أدت أحيانا إلى مواقف هزلية تتفق تماما مع الخطط الاستعمارية في بلادنا، وهذا ناتج عن أننا لا نقدر حوادث التاريخ كما ينبغي لنا تقديرها" ويرى بن نبي أن الفرد المستعمر صرف جل وقته في التعبير عن الاستياء من سلوك الاستعمار، وكأنه يطلب من إبليس تغيير سلوكه ليصبح ملكا.

ويشرح بن نبي فكرة القابلية للاستعمار أو المغلوب دائما مولع بتقليد الغالب، والتي يركز عليها في كتاباته حول الأفكار القاتلة أو الأفكار الميتة، حيث أسرت الفرد العربي ولا تزال تأسره، وهي في ظاهرها أفكار جذابة مكنت المستعمر تاريخيا أن يطور بلدانه بشكل ملفت خاصة من الناحية المادية، وتمكن الحضارة الغربية من الريادة والقيادة في مختلف النواحي، هذا التمكن لكلا المظهرين جعل من الإنسان العربي إنسانا خاملا غير فعال، هذه القابلية للأسف الشديد أصابت النخبة المثقفة

المسلمة وفرضت جاذبيتها على 90٪ ووضعتهم تحت تصرف الاستعمار. ويشير في سياق سيادة الأنظمة التسييرية الموروثة من الغرب، أن الفعالية تقترن بالاستثمار الاجتماعي، والعالم الإسلامي متى تكونت له إرادة واضحة للتخلص من التخلف، سيجد أولاً في المجال النظري أن اختياره ليس محدوداً بالرأسمالية ولا بالماركسية، وأنه بالتالي يستطيع التعويض للاستثمار المالي المفقود لديه بالاستثمار الاجتماعي الموجود على أساس المسلمة "لقمة العيش حق لكل فم"، والمسلمة "العمل واجب على كل ساعد"، سواء كان ذلك في نطاق مخطط مرحلي خاص بظروف الإقلاع، أم كان المخطط يعني الاستمرار.

ويؤكد بن نبي على ضرورة الاقتداء بنموذج الأمة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، التي انطلقت من نقطة الصفر من حيث الإمكان، ولم يكن لديها شيء للاضطلاع بمهامها الجسيمة، في المجال الاجتماعي والسياسي والعسكري، على حد سواء، ولكنها قامت بهذه المهمات دون إهمال ولا إرجاء حتى يكتمل إمكانها، يقول: "نراها منذ اللحظة الأولى وبالإمكان البسيط الذي بيدها في تلك اللحظة، وكأنها قادرة على كل شيء، وإذ بها تنفذ فعلاً كل خططها في كل المجالات، كأنها معامل ضرب تدخل في فعالية وسائلها البسيطة فجعلها كافية لإنجاز المهمات من ناحية وجعلها تكتمل في آن واحد من ناحية أخرى".

2-3 سياق حرية المرأة... الإجحاف الغربي والإنصاف الإسلامي

يرى بن نبي أن تطور المجتمع يرتبط فعلاً بتطور المرأة، وي طرح مالك بن نبي الرؤية المتوازنة بخصوصها وكأنه ينتقد ظاهرة النسوية التي تسعى إلى تأنيث

المجتمع وهو ما يؤدي إلى الإخلال في بناء وعدم استمراره يقول: "سنرى الحضارة التي تطبعها عبقرية الأثنى ستنتهي عندما تصبح المرأة فارسة، ويصبح فيها الرجل مخنثا، وهي تنتهي إلى فجور وميوعة وانحلال".

ويقر بن نبي بأن الإسلام قد حرر المرأة من جفاء الذكر وتحطيم في الفترة الجاهلية، ولم يترك له إلا قدرة التغلب على النفس وقدرة التوجيه والتنظيم، وكون الإسلام مجتمعا تتمتع فيه المرأة بكثير من الحقوق مقابل القليل من الواجبات، تحدد في الواجبات الزوجية، لكن العرف أعاد المرأة إلى مرحلة الجاهلية حيث قيدها بالأعباء المنزلية.

ويقارن بن نبي بين حرية المرأة في أوروبا وحرية المرأة في الإسلام في بعض الجوانب المتعلقة بإدارة شؤونها وواجباتها، يقول: "ففي أوروبا لا تستطيع المرأة أن تملك بيع ممتلكاتها ولو إرثا عن أبيها إلا بإذن زوجها، بينما المرأة المسلمة تمتعت بهذا الحق منذ نزل القرآن الكريم، وإذا تتبعنا آيات القرآن الكريم فإنه يوجد فيه خطابا واحدا للمسلم والمسلمة معا في الواجبات، باستثناء ما يخصها من الآيات في شؤونها وحقوقها الشخصية بوصفها أثنى، لكن ما سوى ذلك فإنه لا يوجد أي فاصل من الفواصل التي تروج بعمقها اليوم بين الرجل والمرأة".

2-4 سياق الديمقراطية...الشعار المكذوب عليه

يشير هذا السياق عدة إشكالات، فالمصطلح له بريقه وهو شائع كنظام تتبجح به مختلف الحكومات والسلطات، وبالرغم من جاذبية المصطلح إلا أنه يحمل الرحم وباطنه فيه العذاب الأليم جراء الممارسات السلبية التي تقف خلفها جهات متعددة

سياسية واقتصادية وثقافية ودينية، وقد أصبح شعارا للدول الكبرى تنتهك عن طريقه حريات الشعوب وتستغل مقدرات أراضيها المادية، وقد رفعت شعار "الرغيف مقابل الديمقراطية المزعومة"، فلم ترى الشعوب المستعمرة هذا الرغيف ولم تنزع عليها شمس الديمقراطية.

ويحاول بن نبي تحليل هذا المصطلح، وشيوعه في الأدبيات المختلفة منذ العهد اليوناني، ويقابل بين النظامين الديمقراطي والإسلامي، ليخلص إلى نتيجة تؤكد على صلاحية الإسلام، بالرغم من صلاحية الديمقراطية داخل بيئتها الغربية وتهافتها في البيئة العربية التي تحتاج نظمها السياسية إلى إعادة النظر في تطبيق المفهوم بصفة متحضرة، يكون للشعب فيها أو للنخبة تحديدا الحظ الأوفر في الاختيار والتوجيه.

- ديمقراطية الغرب... وتميز الإسلام

يخلص بن نبي إلى أن الديمقراطية هي تكوين شعور وانفعالات، ومقاييس ذاتية واجتماعية تشكل مجموعها الأسس التي تقوم عليها في ضمير الشعب قبل أن ينص عليها أي دستور، ويستشهد بديمقراطية انجلترا التي يصفها بأنها ممتازة، ويعيب بن نبي على كل نظام ديمقراطي لا يراعي شعور ونفسية الشعب.

ويشير مالك بن نبي أن نماذج الديمقراطية تتباين من مجتمع لآخر، فهي إما ديمقراطية غربية بأوروبا، أو ديمقراطية شعبية بالشرق، أو ديمقراطية جديدة بالصين، هذه النماذج تستهدف في أساسها إما منح الإنسان بعض الحقوق السياسية التي يتمتع بها المواطن في البلاد الغربية، وإما الضمانات الاجتماعية التي يتمتع بها

الرفيق في البلاد الشرقية. ويعقد بن نبي مقارنة تحليلية بين الديمقراطية والإسلام، ليؤكد على أن الإسلام يمنح الإنسان قيمة تفوق كل قيمة سياسية أو اجتماعية؛ لأنها القيمة التي يمنحها له الله في القرآن الكريم، وهذا التكريم يكون أكثر من الحقوق أو الضمانات التي تكفلها النماذج الأخرى. ويرى مالك بن نبي بأن الديمقراطية الإسلامية تحفظ الفرد من النزعات المنافية للشعور الديمقراطي الموجودة في طينة البشر، فالله تعالى كرمه وحدد حواجز تقيه وترشده إلى الطريق المستقيم حتى لا يقع في وحل العبودية أو الاستعباد، بينما تترك الديمقراطية العلمانية أو اللاتكنية الفرد ضحية مؤامرات منافع معينة، وتكتلات مصالح خاصة، أو دكتاتورية طبقية.

ويصف مالك بن نبي الحكم الإسلامي بالديمقراطي في مصدره وفي عمله، وهو يتضمن كل السمات التي تطبع الديمقراطية السياسية، التي تمنح الفرد مسؤولية في تأسيس الحكم والضمانات اللازمة التي تحميه من جور، ويرى بأن المشروع الديمقراطي في المجال الاقتصادي وفقاً للتصور الإسلامي يقوم على مبادئ عامة، تهدف إلى توزيع الثروة حتى لا تصبح دولة بين أيدي بعض المترفين، فيقرر الزكاة، ويحرم الربا، ويعفي من سلطة المال المطلقة، ويقاوم الاحتكار، وكل البيوع الفاسدة.

- ديمقراطية الضمير العالمي (التمثيل المؤسسي)

يناقش بن نبي مسألة الديمقراطية أو ما أسماه بالضمير العالمي الممثل للأمم المتحدة بشكل واضح ويؤكد على أن هذه المؤسسة تمثل الأجندة الأجنبية في رؤيتها لما يسمى بالديمقراطية التي تحمل معها مبادئ حقوق الإنسان، ويرى بن نبي أن

صورة هذا التمثيل سلبية، يقول: "إن شيئاً يسمى الضمير العالمي أراد أن يدخل الوجود، فقدم أوراق اعتماده، قدم ميثاق الأمم المتحدة والتصريح بحقوق الإنسان، ولكن الروح الديمقراطية التي أشرفت على تحرير هذه الوثائق لم تكن ديمقراطية إلا اسماً، وهكذا لا يوجد في اهتمام تلك الوثائق بمصلحة الإنسان إلا مزيداً من التأكيد والتقرير لمصلحة الكبار"، ويضيف بن نبي لقد أصبح البلد المستعمر ميداناً داخلياً لا يتدخل فيه الضمير العالمي أي الأمم المتحدة.

ويؤكد على ازدواجية تعاملها مع الشعوب، فهي تدين الشعب الفلسطيني على أرضه، ولم تلفظ كلمة واحدة عن الأعمال الوحشية التي طردته من دياره التي استقر بها منذ آلاف السنين.

- حرية اختيار الحاكم (البيعة)

إن رئيس الدولة بمقتضى التشريع الإسلامي، يستلم سلطاته بمقتضى مبايعة الأمة - الشعب - ممثلة في بعض الرجال البارزين خلقاً وعقلاً، يمثلون هيئة على نمط مجلس الشيوخ، يعينون الخليفة بالمبايعة طبقاً لمبدأ الشورى الذي تفره نصوص القرآن الكريم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ (الشورى: 38). ومن هنا يصح القول كما يرى مالك بن نبي أن الحكم الإسلامي ديمقراطي في مصدره وعمله، وهو يتضمن كل السمات التي تطبع الديمقراطية السياسية، بخلاف البلاد المتطورة التي ترفع شعارها، وهي تعاني من صراع الطبقات ومن تقييد حرية الأفراد على المستوى الداخلي والخارجي. والحرية في المجال السياسي كما يكفلها الإسلام، تصورها

ببساطة تلك المرأة التي استاءت من طريقة عمر بن الخطاب في تسيير شؤون الأمة وهي تخاطبه ويتفهم هذا الخطاب، ليعكس الضمير الديمقراطي في الممارسة وإبداء الرأي.

وتفرض ديمقراطية الإسلام رقابة الضمير على أعمال الحكم، وكيف يقوم عمر من الرعية، ومعاوية من أبي ذر الغفاري، وقد استمر أثرها في التاريخ الإسلامي، وقد انتهى هذا المشروع بعد نهاية الحضارة الإسلامية، حيث فقد الإنسان شعوره بالتقويم وأثره في أعمال الحكومة، وبالتالي فقدانه في السلوك أي في الأخلاق" فأشعاع الروح الديمقراطية التي بثها الإسلام، ينتهي في العالم الإسلامي عندما يفقد أساسه في نفسية الفرد، أي عندما يفقد الفرد شعوره بقيمته وبقيمة الآخرين.

وتقتضي المعاملة في القضاء الإسلامي أن يستوي جميع الأفراد، بحكم صفتهم الإنسانية بغض النظر عن الجنس واللون والانتماء والديانة، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء، 58)، كما تبرز في الإسلام المبادئ التي تحمي الحريات المعنوية، كحرية التدين أطلق عليها بن نبي حرية الضمير وتبرز في الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة، 256) وحرية العمل والتنقل. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15). ويستعرض بن نبي وفي معرض حديثه عن الديمقراطية أنواعا من الحريات ركزت عليها المواثيق الدولية كما أشرت سابقا، وبالرغم من أهميتها في

الحاضر الراهن إلا أنه يوجزها بشكل قد لا يتوافق وهذه الأهمية، ويمكن أن أدرجها من باب لفت انتباه القارئ، وهي حرية التعبير التي يقر بنبي أنها ظهرت في العرف منذ الأيام الأولى من العهد الإسلامي، وتجلّى مظهرها فيما كان يديه الصحابة من وجهات النظر مخالفين وجهة نظر الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ورد في اقتراح تغيير ميدان الحرب بغزوة بدر لخير دليل على ذلك.

وفي إطار حماية هذه الحرية، توضع الحدود اللازمة لها، وتقدم فيها مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع، وفي حديث السفينة ما يدل على ذلك، "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا" (رواه البخاري).

2-5 سياق الحركات الإصلاحية والتجديدية... الثورة على الواقع

يعتبر الدين أهم وأقوى وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي، من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع واستقرار النظم الاجتماعية، وهو يضبط سلوك الأفراد في المجتمع بالشواب والعقاب في الحياة وفي الآخرة، ويبرز أثر الدين وبالذات الدين الإسلامي كأداة ضبط فيما يشتمل عليه من تعاليم تمثل في مجملها مجموعة من الضوابط تظهر في العبادات المتعلقة في العلاقة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى، وفي المعاملات التي تعكس العلاقة بين الأفراد. يشير بن نبي إلى أهمية حركة الإصلاح بقيادة جمال الدين الأفغاني، وحركة التجديد بقيادة محمد عبده، على أنها

حاولت أن تناقش التخلف والتقهقر الذي أصيب به العالم الإسلامي، "لقد نتج عن هذا أن الحركة الإسلامية، لم تستطع تغيير النفس، بل لم تستطع أن تترجم إلى لغة الواقع "الوظيفة الاجتماعية" للدين، ولكنها نجحت في إزالة الركود الذي ساد مجتمع ما بعد الموحدين، حين أقحمت في الضمير

الإسلامي فكرة مأساته المزمنة، وإن كان ذلك قد اقتصر على المجال العقلي".

ويعيب بن نبي على الحركة الحديثة - كمال أتاتورك - أن ليس لها في الواقع نظرية محددة لا في أهدافها ولا في وسائلها، والأمر بعد هذا لا يعدو أن يكون غراما بالمستحدثات، فسيبيلها الوحيد هو أن تجعل من المسلم زبونا مقلدا دون أصالة لحضارة غربية تفتح أبواب متاجرها أكثر من أن تفتح أبواب مدارسها مخافة أن يتعلم التلاميذ وسائل استخدام مواهبهم في تحقيق مآربهم، مشير إلى البعثات الدراسية التي ترسل إلى الغرب ولا تستفيد من التكوين الفني.

ويرى أن الخطأ الذي وقع فيه المحدثون ودعاة الإصلاح، ناتج عن أن كليهما لم يتجه إلى مصدر إلهامه الحق، فالإصلاحيون لم يتجهوا حقيقة إلى أصول الفكر الإسلامي، كما أن المحدثين لم يعمدوا إلى أصول الفكر الغربي خالصة من غير تشويه.

2-6 سياق الذات المنهزمة...أسر حرية القدرة على الأداء

يشرح مالك بن نبي إشكالية الحرية في هذا السياق انطلاقاً مما يسميه بصورتي الذهان، فالأولى ينظر فيها الفرد إلى الأشياء على أنها سهلة، وهو ما يقود إلى نشاط أعمى، والثانية ينظر فيها إلى الأشياء على أنها مستحيلة، فيصاب النشاط

بالشلل. ويوضح بن نبي حال هاتين الصورتين في الواقع الجزائري، التي تقوم على قواعد ثلاث:

- عدم القدرة على فعل شيء بسبب الجهل،
 - عدم القدرة على أداء العمل بسبب الفقر،
 - عدم القدرة على تصور هذا الأمر؛ لأن الاستعمار في الجزائر.
- إن الاستعمار لم يؤثر على الرجل المستعمر في مفهومه السياسي، أي في علاقاته الاجتماعية فحسب، بل لقد أثر عليه في أعماقه وفي تكويناته الأساسية، حتى لقد وصل إلى روحه وإلى ضميره في صورة حالات ذهان، وحالات حرمان تشل عنده كل جهد خلاق ولا سيما في إفريقيا الشمالية، فمشكلة التحرر يجب أن توضع في الإطار النفسي، وبهذا تصفى حالات الذهان وصنوف الحرمان، والتي تنجم عن تخليص الفرد من المشاعر السلبية التي أصابته بها نزعته المعادية للاستعمار.

يقول: "ورثنا المقاييس المرتبطة بحياة العالم الغربي وبتجربته التاريخية، وتقبلنا بعضها لنقيس بها الواقع الاجتماعي لدينا، ونقارن على ضوءها ماضينا بما يسحر أبصارنا في حاضر الأمم التي فرضت علينا عاداتها ومفاهيمها ومصطلحاتها وأسلوب حياتها، وهكذا رأينا هذه الأشياء كمسلّمات يقتدي بها فكرنا ويهتدي بها اجتهدانا، ويستدل بها منطقنا، دون أن نحقق في درجتها من الصحة واتفاقها مع جوهر شخصيتنا، وفلسفة حياتنا".

ويقول: "إن التقليد ليذهب مذاهب بعيدة المدى، وهو لا يعضد في هذا المدى غير فوضى من الأشياء والأفكار، كعاملين منفصلين لا مجال في داخلها لأي تنظيم،

أو كسد ليس بينهما أي صلة جدلية".

3- الخلاصة

يعد البحث أرضية لمشاريع بحثية حول الحرية في فكر بن نبي، وسياقاتها المتعددة، ويخلص البحث إلى التأكيد على نتائج هامة تمت مناقشتها سابقا، يمكن إجمالها في ما يأتي:

- ينطلق بن نبي في تصوره للحرية من عدة أدبيات غربية تتصل بالفلسفة الإغريقية التي طرحت تصورات هامة عن الحرية ودلالاتها منذ العهد اليوناني إلى يومنا هذا، كما ينطلق من التصور الإسلامي الذي أعطى لها بعد القداسة فأصبحت عقيدة للأفراد.

- يطرح بن نبي مفهوم الحرية في سياقات مختلفة أهمها السياق الاستعماري، والسياسي الديمقراطي، ويخلص بن نبي أن الاستعمار ومشروعه يتناقض ودعواته إلى تطوير الشعوب وتحضيرها، وهو يستخدم كل الوسائل لتكبير حريتها في الفكر والعمل.

- يؤكد بن نبي أن ديمقراطية الغرب لم تحرر الفرد بالشكل الكافي؛ وهي وإن كانت ناجحة في بيئتها التي استنبتت فيها، فقد فشلت في البيئات العربية التي لا تؤمن السياسات فيها إلا بمصالحها.

- يقابل بن نبي بين حرية المرأة في الغرب وحريتها بعض ظهور الإسلام، ويرى بأن المرأة الغربية عانت ولا تزال تعاني من قوانين جائرة تستغلها بطرق غير مشروعة، بينما يعطي الإسلام المرأة كل حريتها في إدارة شؤونها وفي القيام بواجباتها،

ويرى بأن تقييد حريتها إنما يعود لبيئة تحتكم إلى الأعراف الاجتماعية البعيدة عن التصور الإسلامي.

- يعد فكر بن نبي مجالا خصبا لاستشراف الأفكار المتعلقة بالنهضة وانطلاق المجتمعات العربية والإسلامية من جديد لاستعادة دورها في القيادة، ومنها فكرة الحرية ودورها في ذلك.

- تؤكد القراءات المختلفة لمفهوم الحرية في الزمن الحاضر على ما ذهب إليه بن نبي في سياقاته المختلفة، وإن تغيرت الأمكنة والأزمنة، فإعادة قراءتها في سياق الاستعمار القديم، يرى أنها صنو لسياق الاستعمار الحديث، وقراءتها في سياق الصراع الفكري، يرى أنها صنو لقراءتها في سياق العولمة، وقراءتها في سياق الديمقراطية هو نفسه في إطار سياق حقوق الإنسان.

- يضع بن نبي حولا للمخرج من مأزق فوضى الحرية في السياقات المختلفة، ويؤكد على ضرورة تفعيل الأفكار في المجتمعات العربية والإسلامية، والاستثمار في الجانب البشري الذي يتميز بالعددية.

- ينبه بن نبي إلى ضرورة التخلص من فكرة المغلوب مولع بتقليد الغالب، ويؤكد على أن الأمة العربية والإسلامية تزخر بكل الطاقات المعنوية والمادية للانطلاق في بناء الحضارة.

- يؤكد بن نبي أن الحل الناجح إنما يتمثل في جوهر الإسلام كنظام متكامل وشامل لجميع المجالات، وأن الأنظمة التي جربت في الدول العربية والإسلامية لم تؤت أكلها؛ لأنها أنظمة هيجينة لا تتوافق ومنظومة القيم الدينية والعرفية.

مراجع البحث: القرآن الكريم

1. أحمد المنياوي، (2010)، جمهورية أفلاطون، ط 1. دمشق: دار الكتاب العربي.
2. أرسطو طاليس (دت)، السياسة، ترجمة، احمد لطفي السيد، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
3. سلوى سليم (1985). الاسلام والضبط الاجتماعي، ط 1. القاهرة: مكتبة وهبه.
4. مالك بن نبي. (2009). بين الرشاد والتهيه ، ط 9. دمشق: دار الفكر.
5. مالك بن نبي (2009)، تأملات، ط 9. دمشق: دار الفكر.
6. مالك بن نبي (2009)، شروط النهضة، ط 9. دمشق: دار الفكر.
7. مالك بن نبي (2009)، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 9. دمشق: دار الفكر.
8. مالك بن نبي (2009)، فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط 9. دمشق: دار الفكر.
9. مالك بن نبي (2009)، فكرة كمنويلث إسلامي، ط 9. دمشق: دار الفكر.
10. مالك بن نبي (2009)، في مهبط المعركة، ط 9. دمشق: دار الفكر.
11. مالك بن نبي (2009)، القضايا الكبرى، ط 9. دمشق: دار الفكر.
12. مالك بن نبي (2009)، مجالس دمشق، ط 9. دمشق: دار الفكر.
13. بن نبي، مالك. (2009)، المسلم في عالم الاقتصاد، ط 9. دمشق: دار الفكر.
14. مالك بن نبي (2009)، ميلاد مجتمع، ط 9. دمشق: دار الفكر.
15. مالك بن نبي (2009)، وجهة العالم الإسلامي، ط 9. دمشق: دار الفكر.
16. مالك بن نبي (2009)، مشكلة الثقافة ، ط 9. دمشق: دار الفكر.

